

تنمية البساطة

أطفالنا الصغار ضحايا الاستثمار والعشوائية سيدة الزمان والمكان

بقلم: وداد البرغوثي

كان يوماً ماطراً، تبلي فيه مريولي المدرسي الذي لم تكن فوقه سوى بلوحة حمراء خفيفة لم أكن أملك غيرها، دخلت الصفة، حصرت بلوتوji الحمراء وعلقتها على مسمار في الحائط، وعصرت ما يمكن عصره من المريول، وبذات «أزرع» غرفة الصف ذهاباً وإياباً لعل بعض الدفء يتسلل إلى الماء، وللتغلب على هذه الحاله بذاتن أغنية فيما كانت زميلتي في نفس المقدد تنظر إلى بدهشة، إذ كان يلقاها إنما بعد لحظات معدودة سكت امتحان التاريخ، فيما لا يلقاقي الأمر كما يدور لها، زميلتي كانت من أسرة موسرة جداً، وبظهر هذا البسر على ملابسها وملابس شقيقها الكثيرات في المدرسة، وعلى السيارة التي يوصفن بها الأب أو الأخ يومياً ذهاباً وإياباً.

لم تترك دهشتها وحيرتها من أمري تطول، فبادرتني بسؤالها: استغرب ما الذي يفرحك إلى هذا الحد؟ وكأنك لا تخافين من امتحان التاريخ، وكأنها بسؤالها الصغير هذا فجرت في داخلي بركاناً من الأوجوة الحبيسة ومدرها هذا الفارق الطبقي الهائل بيننا.

قلت لها: لماذا لا أخرج؟ امتحان التاريخ هم صغير أيام همومي التي لا تعيشينها. قهل يخيفني إلى هذا الحد؟ وبشيء من الكبراء قلت لها: نحن الفقراء نستطع أن نستمع في حياتنا أكثر منكم، وفيها الكثير من المتعة. ازدادت دهشتها وقالت: كيف؟ وكانت انتظار سؤالها لأشرح لها فشرحت: حضرت إلى المدرسة ماشية على قدمي والمطر فوق رأسى طيلة الطريق والمسافة لا تقل عن ٣٠ كم فما ان وصلت الصف وارتخت من الطر المهمم حتى شعرت بالغرق وبدأت استمعت بالدفء، إنما انت فحضرت في سيارة بها تدفئة وجئت من الفيلا الدافئة ودخلت إلى صف أجد فشرعت بالتعاسة. ودخلت لها في مقارنة بين حياتنا وحياتهم، فحياتنا مثقلة بالتعاب والهموم وأنهاء أي عمل من أعمالنا يتعذر انجازاً فخر له.

ربما كان هذا فهاماً بمبدأ النظرية النسبية، لا من خلال دراسته بل هو فهم فطري اوجنته طبيعة الحياة.

ما جعلني أسوق هذه القصة التي ما زالت جعبتي تخزن بها منذ ثلاثين عاماً. هو ان اطفالاً كثيرين وكثيرين جداً مازلوا يعيشون ذات التجرية ذات الفقر، ولا ادري اذا ما كانوا يمتلكون ذات الفلسفه، ان كبارياء الفقر هو الذي جعلني امتلكها للتقطيع على تواصتنا وعقولنا.

فزميلتي كانت قادمة في حينها من المدرسة النموذجية، ذات المواصلات العالية التي لا يقدر عليها امثالنا، وكانت لا اعرف حتى يوجد مدارس غير مدارسنا التي تعرفنا عليها. في قريتي مدرسة كانت مكونة من ثلاثة غرف، تجمع كل الصفوف من الاول حتى السادس في غرفتين والغرفة الثالثة للادارة والعلميات.

اما مدرسة المدينة فتمتاز عن مدرستنا في القرية بعدد طلابها الكبير وعدد معلماتها، وان لكل صف غرفة. لكن العصا هي ذات العصا، والفتر هو ذات الفتر، والتعابي الطبقي في القرية أقل بكثير مما هو في المدينة. وهناك في القرية كان الفقر قاسماً مشتركاً بين الاطفال جميعاً كما هو الغنى قاسم مشترك في المدرسة النموذجية مثلاً. واليوم ذرى المدارس الخاصة ذات الاقساط وكذلك رياض الأطفال تفتح ابوابها واسعة شاسعة امام ابناء الذوات فهو القادرون على اشباع شهيده المعمدة بعيداً عن التعصب.

الى المستثمرين في مجال التعليم، فيما يشانك الكثير الكثير عن افضلية هذه المدارس الاستثنائية، بعض الناس من متوضعي الدخل ينجزون وراء هذه الشائعات، وبجهوتهم كما يقولون عن مستويات أعلى لابنائهم الذين يعودون اليهم بطبع غريبة لم يتمتعوا يوماً لهم، وبمقابل لم يتمتعوا بهم ماذا؟ لأنهم يريدون ان يكونوا مثل زملائهم من ابناء الذوات، وتتصبح هذه المطالب مضائقاً اليها اقسام المدارس الخاصة عيناً لا طاقة لهم على حمله، فيفتررون انقاد ما يمكن انقاده فيعودون ابناءهم الى المدارس الحكومية، والبعض الاخر يتحملون العبء على مضض لانهم يصرعون على اهلاً «عنزة ولو طارت».

المدارس الحكومية تصاغ سياساتها وبرامجها ومناهجها من قبل صناع القرار الحكوميين، فيما صناع القرار انفسهم هم من ابناء الذوات الذين يتجهون الى المدارس الخاصة، ويبقى السؤال الموجه لهم: ألم تضعوا سياسات للمدارس لتكون على الوجه الافضل؟ فلماذا لا ترسلون ابناءكم اليها اذا كانت هي الافضل؟ أم ان الحديث عن الاهتمام بتطوير مؤسسات التعليم خدعة استهلاكية فقط؟ ولماذا تصررون على ان يبقى بين الاطفال ايضاً «صغر وكبّار» هذا جانب من المشكلة ذات الجوانب المتعددة، مدارس كثيرة ورياض اطفال واحاضنات اكبر، تظهر بشكل صلبي، تعشعش في زاوية بيت او في ساحة او في بيت قيم، لا تخطيط ولا رقابة.

بعضهم يريد الاستثمار وبعدهم يريد البحث عن عيش مستقر، وفي كلتا الحالتين العشوائية سيد الموقف، والاطفال هم ضحايا هذا الاستئمار.

وشعار الاهل والمستثمرين والجميع «للضرورة احكام» فمن يلبى هذه الضرورة بأحكام اكثر حرضاً وافق خطوره؟

ما هي توجهاتها التربوية وأهدافها؟

كتبت: مسعدة عثمان

مبني تتررق فيه المياه الدافئة، غرفة موسيقى يترفع فيها بيانو فاخر وألات موسيقية ذات ألوان مثيرة، مساحات كبيرة من الرمل الناعم تغزوها ألعاب الخيال التي تتمكن الطفل من تقمص الطيارات والمراتج وأنماط أخرى تأخذ أشكال المربعات والمتناقضات والمستويات. تتشي قليلاً فتحيط بغرف غنية بالمعرفة، منها غرفة الخيال التي تتمكن الطفل من تقمص شخصية الطبيب أو المهندس أو البائع، ثم غرفة على الطراز الحديث تزييها جهاز الحاسوب الحديثة التي تغذي الطفل بتكنولوجيا العصر وتليها غرفة بل مسرح تروي فيه القصص، وتعرض أفلام الكرتون، إنها ليست مجرد روضة أطفال، بل هي مدينة ترفيهية، تعليمية، تربوية، فيها التسلية والعلوم والمرح بقابل عصري أنيق، يمنح فيها الطالب الكثير من الرفاهية والمدارك القيمية، إنها رياض الأطفال الخاصة، التي يعيش فيها الطفل ساعات من الإثارة والمرح والتسلية والتعليم.

المناهج الدراسية؟

لا يوجد موحد لرياض الأطفال، بل أن أوراق العمل والأنشطة وبعض الإصدارات التي تتوجهها مصادر الطفولة، بالإضافة إلى أفكار ورؤى الروضة نفسها هي التي تطبق في كل روضة أطفال على حدة.

و عن ذلك قالت لنا نهاية حامد المسنقة التربوية لمنطقة رام الله في مصادر الطفولة: «لا أرى انه من المناسب إصدار منهاج خاص لرياض الأطفال ويمكن سبب ذلك في أن الطفل الذي يتراوح عمره بين ٣ إلى ٦ سنوات، وهو سن الروضة أساساً، تتباين وتتنوع شخصيته في هذا المكان، فمن الأولى أن تقوم معلمات الروضة على تطوير هذه الشخصية وتقويتها وتعليمها لأنها العمود الذي سيكير عليه، فيما يحتاجه الطفل في هذه المرحلة هو النشاطات والحركة وأوراق العمل والدراما والألعاب الذهنية، أكثر من مناهج الرياضيات واللغة العربية وتحفيظ الأناشيد والقرآن».

عندهم قائلة: «في البداية نقوم بتعليم الطفل عن نفسه، جسمه، عائلته، مدينته، قريته، كما نتطرق بالشأن من درجة حرارة، مطر، ثلج، ملابس دافئة، حيوانات وهكذا، كما عن كل ما يتعلق بالشأن من بعض أفكار الدول العربية والأجنبية، ونضع أوراق عمل للأطفال أننا نستوحى برامجنا من بعض أفكار الدول العربية والإنجليزية، ونضع أوراق عمل للأطفال بناء على معرفتنا بالمواضيع التي يحتاجها الطفل في تلك المرحلة، دون أن نقيد بهنجه دراسي محدد».



فيلم كرتون لم ينته بعد.

وعلى الرغم من قدم هذه الروضة إلا أنها حديثة بما تقدمه، فالمكتبة وحدها تحتوي على مئات الشخصيات الملونة الفاخرة باللغتين العربية والإنجليزية وهناك مطبخ للأكل يصنع فيه الأطفال أكلاتهم المفضلة علاوة على العديد من الألعاب والوسائل التعليمية الجميلة».

كيف ت تعرض القضايا الدينية والوطنية

هناك الكثير من الأهالي يرون أن رياض الأطفال الخاصة، كما هي المدارس الخاصة تهتم بالدين المسيحي على حساب الدين الإسلامي كونها تابعة إلى طوائف وممولين مسيحيين في الغلب الأحياناً ومن أجل نفي أو تأكيد الموضوع قالت لنا مساعدة المدرسة: «لا يوجد فرق في طرح الدين سواء الإسلامي أو المسيحي، حيث يتعرض الطفل بكل المناسبات بشكل متساوٍ، في رمضان نعرض نشاطات تتعلق بالصيام والمسحراتي والفوانيش وفي الأعياد المسيحية تعرض شجرة الميلاد وبابا نويل، فنحن نحاول أن نعطي لكل الأعياد مداها في الاحتفال ونشرح للطفل مناسبة هذه الأعياد من خلال فعاليات ونشاطات».

كما اردفت قائلة: «لا يجب أن تعرض الطفل لتمييز لا يدرك منه شيئاً، فنحن نوصل المعلومة بعيداً عن التعصب».

نداء البرغوثي أحدى أمهات الطلبة في الروضة قالت لنا: «الروضة عريقة جداً ومستوتها عالٌ ولا يوجد عليها أي مأخذ سوى عدم تحفيظ القرآن الكريم».

وعن هذا ألم أخذت المصري: «إن الطفل لا يستطيع فهم الآيات القرآنية المجردة أو حتى لفظ بعضها، ما نقوم به هو عرض قصص الأنبياء وإيصال القيم والأفكار التي تصل إلى طفل معرفياً ممتازاً، وهناك غرفة القصة والمسرح والفيديو وأخري للخيال، تليها غرفة الألعاب التركيبية والمنطق الرياضي وغرفة الألعاب الداخلية التي تشبه مدينة مصرية للملاهي والمنتعة، وهناك غرفة الطبيعة والفن بالإضافة إلى غرفة اللغتين الإنكليزية والعربية ولن ننسى الساحة الخارجية الممهدة بالرمل الناعم والألعاب الحركية الضخمة، كذلك بركة السباحة المغلقة وعيادة طبية ملائكة للأطفال صحيًا».

بينما تصادف دخولنا إلى روضة الفرنز مع موعد مغادرة الأطفال، فلم نرى أطفالاً فرحين

لما دارتهم الروضة بل كان بعضهم يبكي رغبة في استكمال تركيب لعبة كانت بين يديه أو

النتمة ص (٧)

نهتم كثيراً بأرككم

شاركونا ملاحظاتكم ومقاتلتم على عنواننا التالي:

برنامج دراسات التنمية - جامعة بير زيت - ص. ب ١٨٧٨ رام الله

فاكس: ٩٧٢(٢٩٥٩٢٥٠) ٩٧٢(٢٩٥٨١١٧)

تلفون: ٩٧٢(٢٩٥٩٢٥٠)

البريد الإلكتروني: [dsp@birzeit.edu](http://home.birzeit.edu/dsp) الصفحة الإلكترونية: <http://home.birzeit.edu/dsp>



سكريتير التحرير:

جبريل حجة

هيئة التحرير:

د. نادر سعيد

ایمن عبد المجيد